محمد بن إسحق

ذكر خلق آدم

قال ابن إسحق: فلما أراد الله أن يخلق آدم بقدرته ليبتليه ويبتلي به لعلمه بما في ملائكته وجميع خلقه وكان أول بلاء ابتليت به الملائكة مما لها فيه ما تحب وما تكره البلاء والتمحيص بما فيهم مما لو تعلموا أو أحاط به علم الله منهم جميع الملائكة من سكان السماوات والأرض ثم قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ إلى قوله - ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ أي إن فيكم ومنكم ولم يبدها لهم منه المعصية والفساد وسفك الدماء وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلأِ الأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فلما عزم الله تعالى على خلق آدم قال للملائكة إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فحفظت الملائكة وعده ووعوا قوله وأجمعوا لطاعته إلا ما كان من عدو الله إبليس فإنه صمت على ما في نفسه من الحسد والبغي والتكبر، وخلق الله آدم من أدمة الأرض من طين لازب من حمأ مسنون بيده تكرمة له وتعظيماً لأمره. فيقال والله أعلم خلقه ثم وضعه ينظر إليه أربعين عاماً قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالاً كالفخار ولم تمسه نار، وكان خلقه يوم الجمعة في آخر ساعة منها وذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾. هذا كله قول محمد بن إسحق صاحب المبتدأ والمغازي...

(المقدسي - البدء والتاريخ ج ٢ ص ٨٣-٨٤)

قاين وهابيل

محمد بن إسحق قال: حدثني بعض أهل العلم من أهل الكتاب أن آدم تغشى حواء قبل أن يُصيب الخطيئة فحملت بقين بن آدم ويقال قاين وتوأمته قليميا، فلم تجد عليهما وحماً ولا وَصَباً ولم تجد بهما طلقاً حين ولدتهما ولم تر معهما دماً لطهر الجنة، فلما ذاقا الشجرة وخطئا هبطا إلى الأرض فكان مهبطهما فيما يذكر أهل العلم على جبل يقال له «واسم» من أرض الهند بين قرى الدهنج والمندل. ويرى بعض أهل العلم أن قايناً لما كان نشوءه في الرحم في إبَّان معصية آدم لحقته تلك المعصية حتى قتل أخاه. قال: فلما اطمأنت بالأرض تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبوذا ووجدت حين ولدتهما الطلق ورأت معهما الدم. وكانت حواء لا تحمل إلا توأمين ذكراً وأنثى فحملت حواء لآدم أربعين ولداً لصلبه من ذكر وأنثى في عشرين بطناً. فلما بلغ هابيل وقاين شغل آدم قايناً بالحرث والزرع وهابيل برعاية الماشية، ثم أمر آدم ابنه قايناً أن ينكح لبوذا توأمة هابيل وأمر هابيل أن ينكح قليميا توأمة قاين وكانت أحسن الناس، فسلم لذلك هابيل ورضي، وقال قاين نحن من ولادة الجنة وهابيل وتوأمته من ولادة الأرض وأنا أحق بأختي، وإنما نفس بها للجمال وضنّ بها على أخيه، فقال أبوه: يا بني لا تحل لك، فأبى قاين أن يقبل ذلك فقال له أبوه: أي بني قرب قرباناً ويقرب أخوك هابيل قرباناً فأيكما قبل الله قربانه فهو أحق بها. فقرب قاين قمحاً وقرب هابيل من أبكار غنمه ويقال قرب بقرة فبعث الله ناراً بيضاء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قاين، وبذلك كان الله يقبل القربان إذا قبله بقول أهل الكتاب، ومن ذلك قولهم للنبي ﷺ إن الله عهد إلينا

أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار . . . . فلما قبل الله قربان هابيل وكان في ذلك القضاء له بأخت قاين غضب قاين وغلب عليه الكبر واستحوذ عليه الشيطان فاتبع أخاه هابيل وهو في ماشيته يرعى فقتله . قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ ﴿واتل عليهم﴾ - يعني أهل الكتاب - ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ المائدة ٢٧-٣١. وذلك أنه خرق بعد قتله ولم يدر كيف يصنع به ولا كيف يواريه لأنه أول ميت وأول قتيل، فلما انصرف قاين إلى أبيه قال: يا قاين أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري ما كنت عليه رقيباً. فقال له: إن صوت دم أخيك لينادين من الأرض التي فتحت فاها فتلقت دم أخيك من يدك فإذا أنت عملت بيدك في الأرض فإنها لا تعود تعطيك حرثها وتكون فزعاً تائهاً.

(الهمداني - الإكليل، الكتاب الأول, ed. Oscar Lofgren I. Uppsula, 1954)

ذكر حفر زمزم

ثم إن عبدالمطلب بينما هو نايم في الحجر إذ أتي فأمر بحفر زمزم وكان أول ما ابتدأ به عبدالمطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري . . . قال عبدالمطلب: إني لنايم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال احفر طيبة، قال قلت: وما

طيبة؟ قال ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر برَّة، قال فقلت: وما برَّة؟ قال ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر المضنونة، قال قلت: وما المضنونة؟ قال ثم ذهب عني. فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال: احفر زمزم، قال قلت: وما زمزم؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تذم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل. قال فلما بيَّن له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحضر، فلما بدا لعبد المطلب الطيَّ كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه فقالوا: يا عبدالمطلب إنها بير أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك فيها، قال: ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خُصصت به دونكم وأُعطيته من بينكم، قالوا له: فأنصفنا فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا: كاهنة بني سعد هذيم، قال: نعم، وكانت بأشراف الشام. فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر، قال والأرض إذ ذاك مفاوز، قال فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبدالمطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبايل قريش فأبوا عليهم وقالوا إنا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم. فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟ قالوا: ما رأينا إلا تبع لرأيك فمرنا بما شيت، قال: فاني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه

حتى يكون آخركم رجلاً واحداً فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً، قالوا: نعم ما أمرت به. فقام كل رجل منهم فحفر حفرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب ولا نبتغي لأنفسنا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا، فارتحلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبايل قريش ينظرون إليهم ما هم فاعلون تقدم عبدالمطلب إلى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبدالمطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملؤوا أسقيتهم، ثم دعا القبايل من قريش فقال هلم إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤوا فشربوا واستقوا، ثم قالوا: قد والله قضي لك علينا يا عبدالمطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبداً إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو سقاك زمزم فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا إلى الكاهنة وخلوا بينه وبينها.

[ابن هشام ص٩١-٩٣].

[ثم يورد خبراً آخر يختلف نوعاً ما عن هذه القصة، ذلك أنه بعد أن استيقظ من منامه].

فغدا عبدالمطلب ومعه ابنه الحارث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل.. بين الوثنين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبايحها، فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت إليه قريش حين رأوا جده فقالوا: والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما، فقال عبدالمطلب لابنه الحارث: دعني حتى أحفر فوالله لأمضين لما أمرت به، فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه، فلم يحفر إلا يسيراً حتى بدا له الطيُّ فكبر

وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافاً قلعية وأدراعاً، فقالت له قريش: يا عبدالمطلب لنا معك في هذا شرك وحق، قال: لا ولكن هلم إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليه بالقداح..

(ابن هشام ص ٩٤)

ابتداء النصرانية بنجران

قال ابن إسحق: حدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الأخنس عن وهب بن منبه اليماني أنه حدثه أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم -عليه السلام- يقال له فيميون، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا مجاب الدعوة وكان سايحاً ينزل القرى لا يعرف بقرية إلا خرج منها إلى قرية لا يعرف بها، وكان لا يأكل إلا من كسب يديه وكان بنَّاء يعمل الطين وكان يعظم الأحد فإذا كان يوم الأحد لم يعمل فيه شيئاً وخرج إلى فلاة من الأرض يصلي بها حتى يمسي، قال وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح فأحبه صالح حباً لم يحبه شيئاً كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع وقد اتبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين مستخفياً منه لا يحب أن يعلم بمكانه وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي إذ أقبل نحوه التنين الحية ذات الرؤوس السبعة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخاف عليه

فعيل عولة فصرخ يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت إليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى فانصرف وعرف أنه قد عرف وعرف صالح أنه قد رأى مكانه فقال له: يا فيميون تعلم والله إني ما حببت شيئاً قط حبك وقد أردت محبتك والكينونة معك حيث كنت، قال: ماشيت أمري كما ترى فإن علمت أنك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح، وقد كان أهل القرية يفطنون لشأنه وكان إذا فاء جاءه العبد به الضر دعا له فشفي، واذا دعي إلى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن فيميون فقيل له إنه لا يأتي أحداً دعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوباً ثم جاءه فقال له: يا فيميون: إني قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً فانطلق معي إليه حتى تنظر إليه فأشارطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له: ما تريد أن تعمل من بيتك هذا؟ قال: كذا وكذا، ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي وقال: يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له، فدعا له فيميون فقام الصبي ليس له باس، وعرف فيميون أنه قد عرف فخرج من القرية واتبعه صالح فبينما هو يمشي في بعض الشام إذ مر بشجرة عظيمة فناداه رجل فقال: أفيميون؟ قال: نعم، قال: ما زلت أنظرك وأقول متى هو جاء حتى سمعت صوتك فعرفت أنك هو لا تبرح حتى تقوم علي فإني ميت الآن، قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فعدوا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد كل سنة إذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء ثم خرجوا إليها فعكفوا عليها

يوماً، فابتاع فيميون رجل من أشرافهم وابتاع صالحاً آخر فكان فيميون إذا قام من الليل في بيت له أسكنه إياه سيده يصلي استسرج له البيت نوراً حتى يصبح من غير مصباح، فرأى ذلك سيده فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به وقال له فيميون: إنما أنتم في باطل، إن هذه النخل لا تضر ولا تنفع ولا دعوت عليها إلهي الذي أعبد لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له، قال فقال له سيده: فافعل فإنك إن فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه، قال فقام فيميون فتطهر وصلى ركعتين ثم دعا الله عليها فأرسل الله عز وجل ريحاً فجعفتها من أصلها فألقتها، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم ثم دخلت عليهم الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض. فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب، قال ابن إسحق فهذا حديث وهب به منبه عن أهل نجران.

(ابن هشام ص ٢٠-٢٢)

بدء الوحي

قال ابن إسحق فذكر الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها حدثته أن أول ما ابتدئ به رسول الله ﷺ من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤى الصادقة لا يرى رسول الله ﷺ رؤيا في منامه إلا جاءت كفلق الصبح، قالت: وحبب الله إليه الخلوة فلم يك شيء أحب إليه من أن يخلو وحده.

(ابن هشام، ص ١٥١)

غزوة الخندق

زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي

قال: ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس.

فحدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم عن عبدالله بن كعب بن مالك ومحمد بن كعب القرظي والزهري وعاصم بن عمر ابن قتادة وعبدالله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق، وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض، قالوا: إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وهوذة بن قيش الوايلي وأبو عمار الوايلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وايل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له، ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاؤوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه، فخرجت قريش وقايدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقايدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن

عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رخيله بن نويرة بن طريف بن سحمة . . فيمن تابعه من قومه أشجع .

فلما سمع به رسول الله ﷺ وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر وعمل معه المسلمون فدأب فيه ودأبوا، وابطأ عن رسول الله ﷺ وعن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين وجعلوا يورّون بالضيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ولا إذن وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النايبة من الحاجة التي لابد له منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذن في اللحوق بحاجته فيأذن له فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير واحتساباً له . فأنزل الله -عز وجل- في أولئك من المؤمنين : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ . فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير والطاعة لله ولرسوله ﷺ ، ثم قال (عز وجل) يعني المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم . ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنت عليه﴾ ، قال ابن إسحق من صدق أو كذب ، ﴿ **وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ . قال ابن إسحق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جعيل سماه رسول الله عمراً

فقالوا:

سماه من بعد جعيل عمراً وكان للبايس يوماً ظهراً

. . . قال ابن إسحق: وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني فيها من الله عبرة في تصديق رسوله ﷺ وتحقيق نبوته عاين ذلك المسلمون. . . (يذكر ابن إسحق بعضها ويقول) ومنها ما أراده الله تعالى من الفتح. قال وحدثت عن سلمان الفارسي أنه قال ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي ورسول الله ﷺ قريب مني فلما رآني أضرب ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول من يدي فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برق، قال: ثم ضرب ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى، قال ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى، قال: قلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب؟ قال: أو قد رأيت ذلك يا سلمان؟ قال: قلت نعم، قال: أما الأولى: فإن الله فتح علي بها اليمن، وأما الثانية: فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب، واما الثالثة: فإن الله فتح علي بها المشرق. . .

قال ابن إسحق: ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد. وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم. قال ابن إسحق: وأمروا بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام.

قال: وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاقده على ذلك، فلما سمع كعبٌ حيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حيي ويحك يا كعب افتح لي، قال: ويحك يا حيي إنك امرؤ مشؤوم وإني قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقاً، قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل، قال: والله إن غلّقت دوني إلا عن جشيشتك أن آكل معك منها، فاحفظ الرجل ففتح له، فقال: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمي إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه، قال له كعب: جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه يرعد ويبرق ليس فيه شيء، ويحك يا حيي فدعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقاً ووفاء. فلم يزل حيي بكعب يفتله في الذروة والغرب حتى سمح له على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب بن أسد عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ.

قال: فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر وإلى المسلمين بعث سعد بن معاذ ابن النعمان وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عبادة بن دليم أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبدالله بن رواحه أخو بني الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال: انطلقوا حتى تنظروا

أحق ما بلغنا من هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس. فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ وقالوا: من رسول الله لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد ابن معاذ وشاتموه وكان رجلاً فيه حدة، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا: عضلٌ والقارة، أي كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع خبيب وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين.

قال: وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى . . قال ابن إسحق: وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو، وذلك عن إملاء من رجال قومه، فأذن لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة. فأقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون بضعاً وعشرين ليلة، قريباً من شهر، لم تكن بينهم حرب إلا الرميا بالنبل والحصار.

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ [كما حدثني عاصم بن عمر ابن قتادة ومن لا أتهم عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري] إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري وهما قايدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه

وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه فقالا له: يارسول الله أمراً تحبه فتصنعه أم شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئاً تصنعه لنا: قال: بل شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو بيعاً أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله: فأنت وذاك، فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال ليجهدوا علينا.

قال: فأقام رسول الله ﷺ والمسلمون وعدوهم محاصرهم ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش منهم عمر بن عبد ود بن أبي قيس أخو بني عامر ابن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا: تهيؤوا للقتال يا بني كنانة فستعلمون من الفرسان اليوم، ثم أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها. قال ابن اسحق: ثم تيمّموا مكاناً من الخندق ضيقاً فضربوا خيلهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع، وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا

عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم، وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم. وكان عمرو بن عبد ود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج معلماً ليرى مكانه فلما وقف هو خيله قال: من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب فقال له: يا عمرو إنك كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه، قال له: أجل، قال له علي: فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام، قال: لا حاجة لي بذلك، قال: فإني أدعوك إلى النزال، فقال له: لم يا ابن أخي فو الله ما أحب أن أقتلك، قال له علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم أقبل على علي فتنازلا وتجادلا فقتله علي وخرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة. وقال علي بن أبي طالب في ذلك:

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ... ونصرت رب محمد بصواب

فصددت حين تركته متجدلاً ... كالجذع بين دكادك وروابي

وعففت عن أثوابه ولو أنني ... كنت المقطر بزني أثوابي

لا تحسبن الله خاذل دينه ... ونبيه يا معشر الأحزاب

قال ابن إسحق: وألقى عكرمة بن أبي جهل يومئذ رمحه وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت في ذلك:

فر وألقى لنا رمحه ... لعلك عكرم لم تفعل

ووليت تعدو كعدو الظليم ... ما إن تجور عن المعدل

ولم تلق ظهرك مستأنساً ... كأن قفاك قفا فُرعُل

. . . قال ابن إسحق: وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر عدوهم عليهم وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

قال: ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شيت. فقال رسول الله ﷺ: أنما أنت فينا رجل واحد فخذّل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة. فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يابني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه، فقالوا: أشرت بالرأي. ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً وإنه قد بلغني أمر قد رأيت علي حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم فاكتموا عني فقالوا: نفعل، قال: تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً

من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم، فأرسل إليهم: نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان إنكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس إليَّ ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أنه أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم فأصابه ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال إن تتشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله إن الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى بني قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرسل إليهم بهذا إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم.

قال : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً. قال ابن إسحق :[فحدثني يزيد بن زياد عن عمر بن كعب القرظي قال] قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبدالله أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا ابن أخي، قال فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض وحملناه على أعناقنا، قال فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ هويًا من الليل ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة، فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال: يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يفعلون ولا تُحدثْ شيئاً حتى تأتينا، قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعَل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء، فقام أبو سفيان فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت من أنت؟ قال: فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا تستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قايم ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي أن لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم. قال حذيفة :

فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه مراجل، فلما رآني أدخلني إلى رجليه وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد وإني لفيه فلما سلم أخبرته الخبر. وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين إلى بلادهم. قال ابن إسحق: ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح.

[ثم يذكر غزوة بني قريظة. ويسمي بعدها شهداء يوم الخندق ثم ما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني قريظة].

(ابن هشام - ص ٦٦٨ وبعدها)

obeikandl.com

obeikandl.com

مقتل عمر وتعيين مجلس الشورى

بسم الله الرحمن الرحيم/

قال محمد بن إسحق لما طعن عمر أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة شغل الناس الغمر (الغم؟) عن/ الصلاة حتى استقروا ثم صلى بالناس عبدالرحمن ابن عوف فقرأ إنا اعطيناك الكوثر/ وإذا جاء نصر الله ثم خرج إذن عمر فناد يا أهل المدينة يا أهل الشام يا أهل البصرة/ يا أهل الكوفة ثم أدخلهم وكان أهل الكوفة آخر من دعي فما سأله أحد / الوصية غيرُهم فقالوا له : أوص يا أمير المؤمنين، فقال إن حدث علي حدث فالأمر إلى / هؤلاء الستة نفر الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض / قال ابن إسحق عن أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون الأودي قال شهدت يوم طعن عمر / فقال عمر : ادعوا لي علياً وعثمان فقال يا علي لعل هؤلاء القوم يعرفون لك قرابتك / بالنبي- عليه السلام- وعلمك وما آتاك الله من الفقه فإن وليت بعدي الأمر فاتق / الله، ثم قال لعثمان : ياعثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك برسول الله وسنك / وشرفك فإن وليت هذا الأمر فاتق الله ولا تجعلن بني أبي معيط على رقاب الناس / ثم قال : ادعوا لي صهيباً فقال يا صهيب صل بالناس ثلاثاً وأدخلوا هؤلاء النفر بيتاً فإن / اجتمع رأيهم على رجل منهم فمن خالفهم فاضربوا عنقه وإياكم و الهوينا فانها تقطع / المتصل وتهري الشفقة . قال ابن إسحق فلما أمر بالشورى تطاول / عمرو بن العاص فأنظره عمر فقال : اطمئن كما وضعك الله فو الله لا أجعل / فيها أحداً حمل السلاح على النبي -عليه السلام- ولولا ما طمعت بمعاوية ما طمع فيها / طليق، فليعلم الطليق أن هذا الأمر لا يصلح

للطلقاء ولا لأبناء الطلقاء ولا لمهاجرة الفتح / فإن اختلفتم فلا تطمعوا فيها الطلقاء ولا تظنوا أن عبدالله بن أبي ربيعة عنكم / غافلاً. قال ابن إسحق فلما دخل الشورى يشاورون قال لهم عبدالله بن أبي ربيعة بن/ المغيرة أدخلوني معكم قالوا : لا ولا حباً ولا كرامة، قال: تسمعوا مني قالوا فأما شئت / قال إن بايعتم علياً سمعنا وعصينا، وإن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا. / قال ابن إسحق قال لهم المقداد بن الأسود: لا تبايعوا لمن لم يشهد بيعة الرضوان / ولم يشهد يوم الفرقان وفر يوم التقى الجمعان يريد عثمان فقال عثمان أما قوله/ لم يشهد بيعة الرضوان فإن رسول الله ﷺ أرسلني إلى أهل مكة / وكانت البيعة بعدي فبايع لي رسول الله ﷺ بشماله وشمال / رسول الله خير من يميني. وأما قوله لم يشهد يوم الفرقان فإن رسول الله ﷺ جعلني على بنته وكانت ساكتة وضرب لي سهمي وأعطاني أجري. / وأما قوله فر يوم التقى الجمعان فقد عفا الله عني فيما يوشي. / قال ابن إسحق وأقبل المغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص فجلسا عند باب أصحاب الشورى / فمر بهم سعد بن أبي وقاص فقال أتريدان أن يراكما أحد فيظن أنكما من أهل أصحاب/ الشورى قوما فأقامهما فمكث أصحاب/ الشورى يومين لايقضون شيء (هكذا) فقال لهم عبدالرحمن/ بن عوف: ما عليكم أكلكم يرجو الخلافة هل لكم تولونيها وأخرج منها نفسي وابن عمي.

Nabia Abbott: *Studies in Arabic Literary Papyri - I. Historical texts.*

University of Chicago Press 1957, p.80-1.

(ترى المؤلفة أن ورقة البردي هذه من الثلث ا لثاني أو الربع الثالث للقرن الثاني للهجرة ص ٩٠).

خالد في العراق

[حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة] عن ابن إسحق عن صالح بن كيسان، أن أبا بكر (رحمه الله) كتب إلى خالد بن الوليد يأمره أن يسير إلى العراق، فمضى خالد يريد العراق حتى نزل بقريات من السواد يقال لها: بانقيا وباروشما وأليس، فصالحه أهلها وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا وذلك في سنة ١٢هـ. فقبل منهم خالد الجزية وكتب لهم كتاباً فيه: من خالد بن الوليد لابن صلوبا السوادي ومنزله بشاطئ الفرات، إنك آمن بأمان الله إذ حقن دمه بإعطاء الجزية، وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خرجك وجزيرتك ومن كان في قريتيك بانقيا وباروسام ألف درهم فقبلتها منك ورضي من معي من المسلمين بها منك، وله ذمة الله وذمة محمد ﷺ وذمة المسلمين على ذلك، وشهد هشام ابن الوليد». ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي، وكان أمَّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر، فقال له خالد ولأصحابه: أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين لكم ما لهم وعليكم ما عليهم، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم. فقال له قبيصة بن إياس: ما لنا بحربك من حاجة بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية، فصالحهم على تسعين ألف درهم، فكانت أول جزية وقعت بالعراق وهي القريات التي صالح عليها ابن صلوبا.

(الطبري ج ١ ص ٢٠١٦ - ٢٠١٨)

خالد يذهب إلى الشام

وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة يأمره أن يمد أهل الشام بمن معه من أهل القوة ويخرج فيهم ويستخلف على ضعفة الناس رجلاً منهم . . . فسار خالد بأهل القوة من الناس ورد الضعفاء والنساء إلى المدينة مدينة رسول الله ﷺ وأمر عليهم عمير بن سعد الأنصاري واستخلف خالد على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيباني، ثم سار حتى نزل على عين التمر فأغار على أهلها فأصاب منهم ورابط حصنًا بها فيه مقاتلة كان كسرى وضعهم فيه حتى استنزلهم فضرب أعناقهم وسبى من عين التمر ومن أبناء تلك المرابطة سبايا كثيرة فبعث بها إلى أبي بكر، فكان من تلك السبايا أبو عمرة مولى شبان وهو أبو عبدالأعلى بن أبي عمرة. . ويسار وهو جد محمد بن إسحق مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف. . ثم أراد السير مفوزاً من قراقر وهو ماء لكلب إلى سوى وهو ماء لبهراء بينهما خمس ليال فلم يهتد خالد الطريق فالتمس دليلاً فدل على رافع بن عميرة الطائي، فقال له خالد: انطلق بالناس، فقال له رافع: إنك لن تطيق ذلك بالخيل والأثقال والله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه ولا يسلكها إلا مغرراً إنها لخمس ليال جياد لا يصاب فيها ماء من فصلتها، فقال له خالد: ويحك إنه والله لا بد من ذلك إنه قد أتتني من الأمير عزمة بذلك فمر بأمرك، قال: استكثروا من الماء من استطاع منكم أن يصر أذن ناقته على ماء فليفعل فإنها المهالك إلا ما دفع الله ابغني عشرين جزوراً عظاماً سماناً مسانً. فأتاه بهن خالد فعمد إليهن رافع فظمأهن حتى إذا تملان عمد إليهن فقطع مشافرهن ثم كعمهن لئلا يجترون ثم أخلى أدبارهن ثم قال لخالد سر، فسار خالد معه مغذاً بالخيول والأثقال فكلما نزل منزلاً افتظ أربعاً

من تلك الشوارف فأخذ ما في أكراشها فسقاه الخيل ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء فلما خشي خالد على أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة وهو أرمد: ويحك يا رافع ما عندك، قال أدركت الري إن شاء الله، فلما دنا من العلمين قال للناس انظروا هل ترون شجيرة من عوسج كقعدة الرجل؟ قالوا: ما نراها، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون هلكتم والله إذاً وهلكت لا أبالكم انظروا فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقية فلما رآها المسلمون كبروا وكبر رافع بن عميرة ثم قال: احفروا في أصلها فحفروا فاستخرجوا عيناً فشربوا حتى روي الناس فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل، فقال رافع والله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة وردته مع أبي وأنا غلام. فقال شاعر من المسلمين:

لله عينا رافع أنّى اهتدى ... فوّز من قُراقر إلى سوى

خمساً إذا ما سارها الجيش بكى ... ما سارها قبلي إنسيّ يرى

فلما انتهى خالد إلى سوى أغار على أهله وهم بهراء قبيل الصبح وناس منهم يشربون خمراً لهم في جفنة قد اجتمعوا عليها ومغنيهم يقول:

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر ... لعل منايانا قريب وما ندري

ألا عللاني بالزجاج وكررا ... علي كميت اللون صافية تجري

إلخ القصيدة . . ثم سار خالد على وجهه ذلك حتى أغار على غسان بمرج راهط، ثم سار حتى نزل على قناة بصرى وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان فاجتمعوا عليها فرابطوها حتى صالحت بصرى على الجزية وفتحها الله على المسلمين فكانت أول مدينة من مدائن الشام فتحت

في خلافة أبي بكر، ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسلطين وسمعت الروم بهم فانكشفوا عن جلق إلى أجنادين، بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين، وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم فاجتمعوا بأجنادين حتى عسكروا عليهم.

(الطبري ج ١، ص ٢١٢١ - ٢١٢٥)

obeikandl.com